اللامذهبية

أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية

العنوان : اللامذهبية

التأليف : الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

عدد الصفحات : ١٦٧

القياس : ١٧ × ٢٤

طبعة جديدة ومنقحة
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب او جزء منه بكل الطرق
الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل
المرئي و المسموع و الحاسوب و غيرها من
الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

دار البصائر

الإدارة: القاهرة. زهراء مدينة نصر.
تليفاكس: ٢٤١١١٤٤١ - محمول: ٠١٦٨٨٣٣٥٣٥
مركز التوزيع/ ٢٢درب الأتراك خلف الجامع الأزهر.
هاتف: ٢٥١٤٩٦٣٣- محمول: ٠١٦٨٨٣٣٥٣٤

دار الفارابي للمعارف
طباعة - نشر - توزيع

تأسست عام ١٩٦٧ م
سورية. دمشق. حلبوني. شارع مسلم البارودي.
ص.ب: ٢٣٨٢ هاتف: ٢٢٢٦٧٨٦ فاكس: ٢٤٥٤٩٧٨
www.daralfarabi.com

الوكيل المعتمد في
الإمارات العربية المتحدة
مكتبة دار الفارابي
الشارقة - دوار الساعة
هاتف ٥٦٣١١٣٠ - ٠٠٩٧١ - ٦
darfarab@emirates.net.ae

اللامذهبية

أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

دار الفارابي
للمعارف

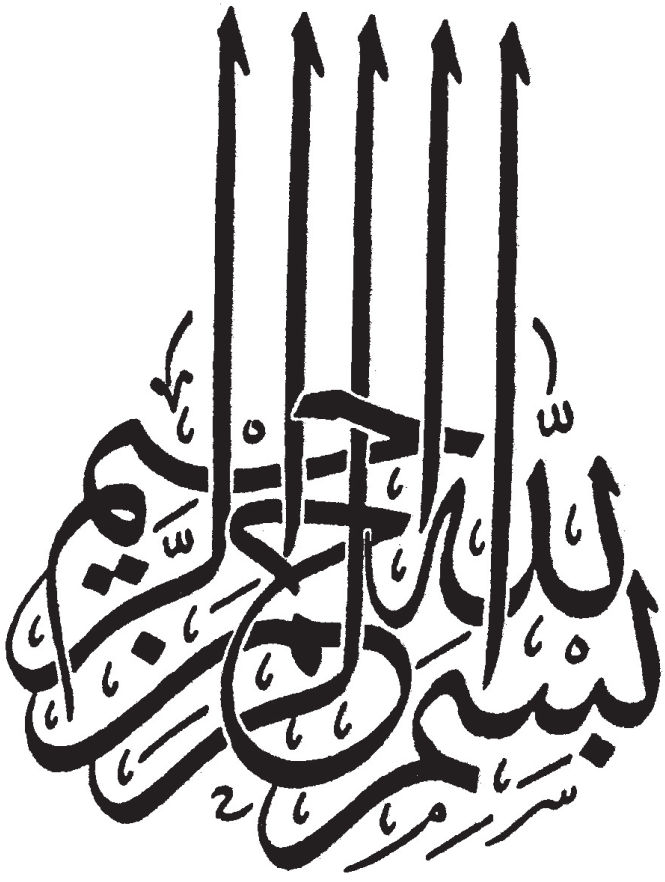
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على نعمه وآلائه، وأصلي وأسلم على نبيّه محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

اللهم إني أعوذ بك أن تكلني إلى نفسي فيما أعلم أو أتعلم، وأعوذ بك أن يكونَ حظي مما أكتب شهوةً خفيةً من شهوات النفس، أو عصبية مقيتة مما يأتي به الشيطان أو الهوى.

وأسألك اللهم أن تفتح بيننا وبين إخواننا فتحاً من عندك، تزول به الغواشي عن الأعين، وترتدّ به الوساوس والأغراض عن القلوب.

وأتضرع إليك أن تكرمنا بنعمة الإخلاص حتى لا يكون قصدنا فيما نقدم عليه إلا إتباعَ مرضاتك.

إنك أنت البر الرحيم.

مقدمة الطبعة الجديدة

هذه طبعة خاصة ذات تنضيد جديد لهذا الكتاب، وقد طبع قبل ذلك ما يقارب عشر مرات على الأوفست ولم أضف خلال ذلك على مقدمة الطبعة الثانية شيئاً.

ولكني الآن أحب أن أنتهز فرصة ظهور هذه الطبعة الجديد لأقول:

أمَّا بيانُ الحقِّ بالمنطق العلمي وبالأسلوب المترفع عن التجريح وقصد الإساءة إلى الآخرين فهو ما يجب القيام به على كل من أوتي قدرة على ذلك.

وهو داخل في صميم قوله ﷻ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وأما تحويل هذا البيان بعد ذلك إلى سلسلة من الخصام والردود المتلاحقة والاستعانة بالألفاظ الجارحة والعبارات النابية إشفاء للغليل وانتصاراً للذات فذاك هو المراء الذي نهينا عنه ومعاذ الله أن يكون ذاك داخلاً في دائرة بيان الحق أو مندرجاً في مضمون الآية الكريمة.

فأما بيان الحق فهو ما وفقني إليه الله ﷻ من خلال بحوث هذا الكتاب ولسوف يجدد طبعه بإذن الله ما دام في الناس حاجة إليه.

وأما متابعة أولئك الذين لم يَرُقْ لهم بيان هذا الحق فراحوا يشتمون ويستعينون بقوارع الألفاظ الجارحة والنابية فذلك ما أستعيذ بالله من الخوض فيه أو الانزلاق إليه.

بيان الحق في حدود الإطار الذي لابد منه لإيضاحه من أهم عوامل جمع الكلمة ولمّ الشتات وترسيخ عوامل الوعي السليم وهذا ما قد قمت به.

وأما متابعة اللجج والخصام ومقارعة الكلام النابي بمثله فهو من أخطر عوامل التمزيق وموجبات الفرقة والشقاق وهذا ما أسأل الله أن يعافيني منه ويبعدني عن الخوض فيه كما أسأله ﷻ أن لا يجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا وأن يجمعنا على صراطه المستقيم وأن يختم حياتنا بما يرضيه والحمد لله رب العالمين.

دمشق في ١ شعبان سنة ١٤٠٥

٢١ نيسان سنة ١٩٨٥

محمد سعيد رمضان البوطي

مقدمة الطبعة الثانية

١- لقد ترددت كثيراً في إعادة طبع هذه الرسالة ولبثت أسأل نفسي خلال هذا التردد: هل كنت فيما أقدمت عليه من نشر هذا الكتاب شاقاً عصا للمسلمين، أو موهناً لوحدتهم؟ . . هل انطوى شيء من كلامي فيه على أي إساءة شخصية لأحد أو هل نزلت في سطر واحد مما كتبت عن مستوى البحث العلمي النزيه المجرد إلى مهاترات أو سفسطات كلامية تورث الضغينة في النفس ولا تزيل الشبه من العقل؟ . .

أما احتمال الإساءة والتنزل عن علياء النقاش العلمي إلى لمز الآخرين أو غمزهم فقد رجعت إلى كل ما كتبته سطراً فسطراً أقرأه بعين الخصم تارة وبعين الفارغ فكره عن أي شيء تارة أخرى، فلم أقع -ولله الحمد- على سطر واحد أسأت بمعناه أو فحواه إلى أي إنسان.

وأما احتمال أني قد أوهنت بنشر هذا البحث العلمي وحدة المسلمين فقد رجعت أتسمَّع إلى ما خلَّفه كتابي هذا من أصداء بين جماعات القراء على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم، وأقبلت إلى الفيض الكبير من الرسائل التي جاءتني تعليقاً عليه فما رأيتني -بحمد الله- قد شققت عصا أو أوهنت

رابطة أو قضيت على اتفاق بل الذي أحدثه نشر هذا الكتاب عكس ذلك تماماً فلقد كان لنشره تأثيران متعاكسان تعاون كل منهما على جمع شتات كثير من المسلمين إلى خطِّ الاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

فقد كان في القراء من يذهب في تقليد أئمة المذاهب الأربعة مذهباً يعتمد جلُّه على العصبية والابتداع فلا يصلي إن كان شافعياً خلف حنفي ولا يستجيز لنفسه الخروج عن تقليد إمامه في مسألة استقصى فيها أدلة الكتاب والسنّة فوجد الأدلة في غير جانب مذهبه فلما قرأ هؤلاء ما كتبته في هذا الموضوع تحولوا عن عصبيتهم وأدركتهم صحوة النظر والبحث ووقفوا من ذلك في خط الاعتدال.

وكان في القراء من يذهب من الأئمة مذهباً آخر هو الجهل العجيب المطبق، فقد كان أحدهم يحسب أن هؤلاء الأئمة ليسوا إلا منافسين لشريعة رسول اللهﷺ شأنهم أن يحولوا أنظار الناس عن شريعته عليه الصلاة والسلام إلى مذاهب أنفسهم فليس عليهم -وتلك هي عقيدتهم- إلا أن يزيحوا عما بينهم وبين رسول اللهﷺ هذه الحواجز الضارة المنافسة !.. فلما قرأ هؤلاء أيضاً ما كتبته تنبهوا آسفين متألمين إلى جهلهم الخطير وأدركوا أن مذاهب الأئمة الأربعة إنما هي سلَّم لابدّ منه للوصول إلى هدي رسول اللهﷺ وحاشا أن يكون حاجزاً منافساً فكان أن التقى هؤلاء مع أولئك الآخرين على خط الاستقامة والاعتدال.

وفي الرسائل الكثيرة التي وصلتني ولقاء الإخوة الكثيرين الذين رأيتهم نماذج كثيرة لهذين التأثيرين اللذين جمعا أوزاعاً كثيرة من الناس كانوا

شاردين عن يمين الطريق ويساره إلى الجادة العريضة التي ينشدها كل مسلم.

أفأكون بهذا الذي فعلت قد صدعت صفوف المسلمين أم جمعتها؟.. وهل أنا بذلك بعثرتهم في متاهات الحيرة والخلاف أم أخرجتهم عن هذه المتاهات إلى حيث البصيرةُ النيرةُ والوعي السليم؟..

٢- غير أن لك أن تقول بأن ثمة من ضاق ذرعاً بما كتبت، ووجد فيه الضرر المهدد لوحدة المسلمين وسلامة عقيدتهم حتى إن منهم من عاف قراءته ولم يأل جهداً في حجزه عن الناس أو حجزهم عنه.

وهذا صحيح!.. فقد وجد في الناس من كان هذا شأنه بل وفيهم من وصف الكتاب بـ... بما يندي القلم عن ذكره!.. وقد كنت فيما وصفني به بعضهم جاهلاً ومتقولاً وكاذباً!..

ولكن ذلك كله لا يعني أنني لم أجمع أفكار الكثيرين من شتات ولم أبصرهم بالسبيل الحق الذي لم يحد عنه أجيال سلفنا الصالح منذ صدر الإسلام إلى اليوم.

لقد قال هؤلاء أنفسهم عن المذاهب الأربعة إنها بدعة طارئة على الدين، وأنها ليست من الدين في شيء، ووصف بعضهم كتب هؤلاء الأئمة بأنها كتب مصدية ولكن ذلك كله لم يغير حقيقة عرفتها العصور كلها وأجمع عليها المسلمون جيلاً وراء جيل، وهي أن هذه المذاهب هي لب الإسلام وجوهره وأنها هي التي بصرت المسلمين في كل زمن بأحكام دينهم ويسرت لهم سبيل التمسك بكتاب ربهم وسنة نبيهمﷺ.

وإذا كان هذا القول الجائر هو حظ الأئمة الأربعة منهم، فما أيسر

وأعدل أن يكون حظي منهم -وأنا المدافع عن الأئمة ومكانتهم- أن أوصف بالجهل والكذب وأن يوصف كتابي بما يخجل لساني عن ذكره!.. ولكني أعود فأقول: هل تجنيت أو أسأت في كل ما كتبته على أحد؟.. هل حشوت كلامي بشيء غير البحث العلمي المجرد؟.. هل أوقعت المسلمين بهذا الذي كتبته في الحيرة والاضطراب أم أخرجتهم بذلك من الحيرة والاضطراب؟.. ثم هل كان يسعني وأنا المسلم الذي شرفتني الأقدار بأن أكون خادماً لأئمة المسلمين وعلمائهم وأن أحمل أمانة هذا القلم في يميني أن أسكت على غاشية من الأوهام تنسحب فوق أذهان الكثير من الناس دون أن أحاول تبديدها ببضعة أسطر.

ويشهد ربي ﷻ أني ما تقولت في كل ما كتبته على أحد.

وكل ما سجلته من المناقشة التي دارت بيني وبين أحدهم حقيقة ثابتة لم أغير منها شيئاً إلا ما اقتضاه نقل بعض الجمل من اللهجة العامية إلى السبك العربي.

٣- ومع هذا كله فقد عدت أتساءل: هل المسلمون بحاجة إلى إعادة طبع هذه الرسالة؟.. أوليس فيما قرؤوه ما يغني عن الإعادة؟..

وقد كان الجواب الذي اطمأنت إليه نفسي أولاً: أنه لا لزوم لإعادة طبع الكتاب وأن في آلاف النسخ التي وزعت على الناس بلاغاً وغناءً.

ولكني رأيت الناس يفتشون عنه بإلحاح وسألت، فقيل لي إن في الناس جمهوراً كبيراً لم يسمع بالكتاب وما فيه ولم يتهيأ له أن يبحث عنه إلا بعد أن نفدت نسخه من الأسواق ووالله ما كنت أتصور أن يبلغ بالناس التحرق لمعرفة

الحق في هذا الموضوع هذا المبلغ العجيب !. . وما كنت أتصور أن أستقبل فيضاً من الرسائل المختلفة يتنفس فيها أصحابها الصعداء ويستروحون لهذا الذي استراحت إليه أفئدتهم من معرفة الحق ودلائله في أمر طالما لُبِّس عليهم الحق فيه بالباطل.

وقد علمت بعد ذلك أي ضيق كان ولا يزال يعانيه جماهير المسلمين من هؤلاء الذين يظلون يريدونهم بإلحاح على بتر نسبتهم إلى المذاهب الأربعة وأئمتها الثقاة الأعلام وأكثر هؤلاء الجماهير عوام أو أنصاف عوام من الناس ليست لديهم من الطاقة العلمية ما يكشفون به زغل أفكارهم وإن كان لديهم من سلامة الفطرة الإسلامية وصفاء العقل الإنساني ما يشعرهم بأنها دعوة ثقيلة على القلب بعيدة عن الحق موغلة في الباطل فمن هنا يشتد تطلعهم إلى من يبصرهم بشيء من الأدلة والموازين العلمية المنصفة في هذا الموضوع وتشتد حاجتهم إلى أن يكون تحت أيديهم كتاب مختصر جامع مفيد لهم في ذلك.

وإذاً فقد كان لابدّ من الاستجابة لهذه الرغبة عند جماهير المسلمين وكان لابدّ من إعادة طبع الكتاب.

٤- وأقلب الآن صفحات هذا الكتاب بيدي فلا أجدني بحاجة إلى أن أغير سطراً واحداً منه، كما لا أجدني بحاجة إلى أن أضيف إليه أي شيء جديد عدا هذه المقدمة وتعليقات اقتضتها مناقشة دارت بيني وبين الشيخ ناصر الألباني في أعقاب ظهور الطبعة الأولى لهذا الكتاب.

ولو وقفت على ردود أو استيضاحات حول شيء مما ورد فيه لأوضحت أو غيرت وبدلت ولكني لم أتلق أي رد ممن يعتبرون أنفسهم

خصوماً للحق الذي بيّنت كما لم أتلق أي استيضاح أو استزادة من القراء الذين يلحون في إعادة الطبع[١].

كل ما في الأمر أن الشيخ ناصر الدين الألباني أبدى رغبة في أن نلتقي ليبدي وجهة نظره في كتابي هذا وقد التقينا فعلاً واستمعت إلى ملاحظاته وآرائه فرأيتها تتلخص في أمرين اثنين:

أولهما استعظام عنوان هذا الكتاب: اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية فقد كان من رأيه أنني لم آت في الكتاب بما يدل على صدق هذا العنوان الخطير!..

ثانيهما أنني -بنظره- لم أحسن فهم ما يريده الخجندي في رسالته التي كان كتابي رداً عليها فهو فيما يراه الشيخ ناصر لا ينكر أحقية المذاهب ونشأتها ولا ينكر صحة تقليدها لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد ولكنه إنما ينكر على من يتعصب لهم مجانباً الدليل الذي فهمه واستوعبه وهو قدر متفق عليه بيني وبينه فليس ثمة أي لزوم لكل هذه الثورة عليه!..

تلك هي خلاصة ملاحظاته التي أبداها في جلسة دامت بيننا ثلاث ساعات.

وقد قلت له بصدد الأمر الأول: إن الكتاب كله تدليل على صدق

---

(١) كتبت هذه المقدمة قبل أن أطلع على الرد الذي كتبه كل من السادة الشيخ ناصر ومحمود مهدي الاستانبولي وخير الدين وانلي بعنوان المذهبية المتعصبة هي البدعة ثم وقع الكتاب في يدي بعد ذلك فأفردت للتعليق عليه ملحقاً يجده القارئ في آخر هذا الكتاب.

عنوانه فإن أهم ما قصدت إلى إيضاحه في الكتاب هو أن شأن المسلمين الذين لم يبلغوا درجة الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة في عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن يتبعوا مذهب إمام من الأئمة الذين بلغوا تلك الدرجة وللواحد منهم أن يلازم إماماً من الأئمة إن شاء وله أن يتحول إن شاء إلى غيره وقد كان في الصحابة من لا تطمئن نفسه إلا إلى فتاوى ابن عباس فكان لا يلقى بأسئلته غيره وما عرف أي باحث من الناس أن في الصحابة من أنكر هذا الالتزام وقد عاش أهل العراق أمداً طويلاً من الزمن وهم يلتزمون مذهب عبد الله بن مسعود متمثلاً في شخصه أو في أشخاص تلاميذه من بعده دون أن ينكر عليهم أهل العلم ذلك كما عاش أهل الحجاز أمداً مثله يلتزمون مذهب عبد الله بن عمر وتلاميذه وأصحابه دون أن ينكر عليهم أحد من أهل العلم ذلك وقد انفرد عطاء بن أبي رباح ومجاهد بالفتوى في مكة زمناً طويلاً وكان يصيح منادي الخليفة أن لا يفتي الناس أحد إلا هذان الإمامان ولم يقم أحد من علماء التابعين ينكر على الخليفة أو على الناس هذا الالتزام.

أفلا يكون القول -بعد هذا كله- بحرمة التزام إمام معين في الاستفتاء والتقليد بدعة باطلة ما أنزل الله بها من سلطان . . و هل اللامذهبية شيء غير هذا؟!.[1]

---

(١) نزيد هذه المسألة الواضحة وضوحاً فنقول :

المذهبية هي أن يقلد العامي أو من لم يبلغ رتبة الاجتهاد مذهب إمام مجتهد سواء التزم واحداً بعينه أو عاش يتحول من واحد إلى آخر واللامذهبية هي أن لا يقلد العامي أو من لم يبلغ رتبة الاجتهاد أي إمام مجتهد لا ملتزماً ولا غير ملتزم.

وهذا التفسير للكلمة هو الذي تعرفه اللغة ويسير عليه الاصطلاح ويفهمه الناس فأنت تقول عن فلان من الناس إنه حزبي إذا كان لا ينفك تابعاً لحزب من الأحزاب سواء كان يتنقل من حزب إلى آخر أو عاش ملتزماً حزباً بعينه لا يتحول عنه وتقول عن فلان آخر أنه غير حزبي إذا كان لا ينتمي لأي واحد منها بأي شكل من الأشكال.

غير أن الشيخ ناصراً يقول بأن هذا التفسير غير الذي يفهمه كل مسلم اليوم من لفظة المذهبية (صفة صلاة النبي ﷺ ص٢٣٢)!.

ولست أدري لماذا يظل هذا الرجل يتوهم أنه هو النموذج الحق لكل مسلم فما يفهمه هو هو الذي يجب أن يفهمه الناس جميعاً، وما لا يفهمه هو ينبغي أن يشتركوا جميعاً معه في استنكاره وعدم فهمه؟!.. وإذ لم يكن ليعلم هذا المعنى الذي شرحت به كلمة المذهبية واللامذهبية في النقاش الذي دار بيننا فقد كان على المسلمين كلهم أن يكونوا من ورائه في جهله بهذا المعنى واستنكاره له!.

ويقول الأستاذ ناصر أيضاً: إنني هدمت بهذا التفسير رسالتي كلها إذ هو يرى أن الناس كلهم على هذا التعريف مذهبيون فأصبح بحثي إذاً حديثاً عن وهم لا وجود له!.

ولقد كان يسيراً جداً أن يكون جميع من يتحلون النسبة إلى السلفية متمذهبين حقاً بهذا المعنى الذي لم يكن يتصوره الشيخ ناصر لكلمة المذهبية أي لا ينفكون عن تقليد أحد الأئمة المجتهدين الذين نقلت إلينا آراؤهم ومذاهبهم بأمانة سواء التزموا واحداً معيناً أو تحولوا من واحد إلى آخر وإذاً لما كان ثمة أي حاجة أن أكتب مثل هذا البحث.

ولكن كلام الشيخ ناصر غير مطابق للواقع مع الأسف.

فإن هؤلاء الذين نحب أن نرشدهم إلى الجادة والسبيل القويم ليس فيهم من يقبل تقليد أي إمام من الأئمة الأربعة وإنما الكل يزعم الأخذ من الكتاب والسنة مباشرة وطالما رأينا أشباه الأميين من هؤلاء الناس وإن أحدهم لا يقبل على أي حال فتوى إمام من الأئمة الأربعة حتى نكشف له عن دليل هذا الإمام والحديث الذي اعتمده

ثم نشرح له بعد ذلك قوة الدليل وصحته وسند الحديث ومستوى رجاله كأنه خبير باحث؟ بعلم السند والأدلة والرجال فإما صحح مذهب هذا الإمام بعد ذلك أو شطب عليه بالتخطئة والتسفيه!.

وليس هؤلاء الناس قوماً من المريخ أو العالم الآخر، بل هم أناس مثلنا يشتكي منهم أهل كل بلدة وحي وقرية وهم من الكثرة بحيث يستطيع الشيخ ناصر أن يرفع الرأس بهم عالياً.

وهذا الخجندي الذي يسميّه علاّمة ويدافع عن رسالته ويصفها بالنفع ما معنى كلامه في رسالته عندما يقول: (وتحصيل هذه الطريقة سهل لا يحتاج أكثر من الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود وجامع الترمذي والنسائي وهذه الكتب معروفة مشهورة يمكن تحصيلها في أقرب وقت فعليك بمعرفة ذلك وإذا لم تعرف أنت ذلك وسبقك إليه بعض إخوانك وفهمك باللسان الذي أنت تعرفه لم يبق لك بعد هذه عذر) أو عندما يقول: (إذا تعددت الرواية عن رسول الله ﷺ في بعض الأمور ولم تعلم المتقدم والمتأخر ولم يتبيّن التاريخ فعليك أن تأتي بكلها تارة بذا وتارة بذلك).

أفتجد في هذا الكلام أثراً لتقدير المذهبية بالمعنى الذي أنكر علينا الشيخ ناصر تفسيرها به وزعم أن الناس كلهم مذهبيون على أساسه؟.

ألم يسد الطريق عليهم جميعاً إلى اتباع الأئمة ومذاهبهم بما وضعه أمامهم من - كتاب الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود وجامع الترمذي والنسائي، وكلها كما يقول كتب معروفة مشهورة يمكن تحصيلها في أقرب وقت ممكن فقد كفى الله المؤمنين القتال ولم تبق حاجة إلى تقليد أي مذهب لا على وجه الالتزام أو غير.

ولعل الأستاذ ناصراً يعلم أن جميع الأئمة بمن فيهم ابن تيمية وابن القيم والشوكاني مجمعون على أن تحصيل هذه الكتب لا يجعل من صاحبها مجتهداً وليس له أن يعتمد عليها وحدها في الفتوى واستنباط الأحكام بل لا بد أن تتوفر لديه إلى كل

٥- أما ما كان بيني وبينه بصدد الأمر الثاني فهو يقوم من جانبه على تأويل كل النصوص التي تنطوي على خطأ بيّن وانحراف عن الحق بما يتفق مع الحق الذي قررته في كتابي!..

فقول الخجندي: (وأما المذاهب فهي آراء أهل العلم وإفهامهم في بعض المسائل واجتهاداتهم وهذه الآراء والاجتهادات لم يوجب الله تعالى ولا رسوله على أحد اتباعها) محمول بنظره على التخصيص بمن كانوا أهلاً للاجتهاد فهؤلاء فقط هم المراد بقوله أحد!..

وقوله: (وتحصيل هذه الطريقة -أي الاجتهاد- سهل لا يحتاج أكثر من الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود وجامع الترمذي والنسائي وهذه الكتب معروفة مشهورة يمكن تحصيلها في أقرب مدة فعليك بمعرفة ذلك وإذا لم تعرف أنت ذلك وسبقك إخوانك وفهمك باللسان الذي أنت تعرفه لم يبق لك من عذر) هذا الكلام مخصوص عنده بمن قد بلغ رتبة الاجتهاد واستنباط الأحكام من النصوص فالعبارة إذاً ليس فيها ما يوهم ولا تحتاج إلى أي تعليق أو رد!..

وقوله: (.. فحيث وجد نص الكتاب والسنّة وأقوال الصحابة رضي الله تعالى عنهم فالأخذ به واجب لا يُعدل عنه إلى أقوال العلماء) محمول

ذلك الملكة العلمية التي ترقى به إلى درجة الاجتهاد خلافاً لما يقرره العلامة الخنجدي فقط في رسالته التي يقول عنها الشيخ ناصر بأنها نافعة جداً.

وإذاً فإن رسالتي لم تتهدم كما يقول الشيخ ناصر بل لا تزال ثمة حاجة إليها مع الأسف وكم كنت أود أن لا تكون إليها أي حاجة.

عنده على الإنسان الذي درس شيئاً من علوم الشريعة وتبصر بمعرفة الأدلة ومدلولاتها.

وهكذا . . فإن كل ما ورد في رسالة الخجندي من مثل هذه النصوص مؤولة (بنظر الشيخ ناصر) بما يتفق مع الحق الذي أوضحناه، ومن رأيه أن علينا فهم نصوصه على ضوء ما قد يمكن أن نتلمس له من القيود والمخصصات في أماكن متفرقة من الكتاب، ولما قلت له: إن أحداً من العلماء لا يطلق هذه الإطلاقات ويعمم بهذا الأسلوب ثم يريد غير ما يدل عليه صريح العبارة وأن أحداً من الناس لا يفهم من هذه النصوص كما تفهم أنت كان جوابه بأن هذا الرجل بخاري النسب وأن لسانه أعجمي الأصل فهو لا يستطيع أن يبين كغيره من العرب وأن الرجل قد انتقل إلى رحمة الله فعلينا أن نحمل كلامه -وهو مسلم- على ما هو الأليق وأن نحسن الظن به ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً!.

تلك هي خلاصة ما دار بيننا في جلسة مسجلة دامت ثلاث ساعات تقريباً.

وقد أرسل إلي يقترح -بعد ذلك- لقاء آخر فكتبت إليه:

أما عن اقتراحكم التقاءنا في جلسة أخرى فقد لاحظت في جلستنا الأولى -كما قلت- أننا لم نستفد شيئاً منها فلا أنتم رجعتم عما تتصورونه من نزاهة صاحب الرسالة ولا أنا اقتنعت بما حملتم كلامه عليه وفي اعتقادي أنكم لو رضيتم أن تأولوا وتقيدوا كلام أمثال الشيخ محي الدين بن عربي ربع التأويل الذي حملتم كلام الخجندي عليه لما وسعكم تكفيره ولا تفسيقه.

وعلى كل فإن ما دار حوله كلامكم بالأمس هو الدفاع عن الخجندي وبيان أنه لا يعني شيئاً آخر غير الذي أوضحته أنا في رسالتي عدا كوني حملت كلامه على الجنوح.

وسواء أكان الخجندي كما تتصورون أنتم أو كما أتصور أنا فإنه ليسعدني على كل حال أن تكونوا أنتم بخصوصكم لا تقبلون الأفكار التي فهمتها من كلام الخجندي كما يسعدني أن تنشروا على الناس تصحيحاً أو شرحاً لكلامه وتضمنوه ما ذكرتم من احترامكم للأئمة وضرورة تقليدهم بالنسبة لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد.

أما اللقاء فإني لا أرى أي فائدة فيه ولم أشعر في اجتماع الأمس إلا بشيء واحد وهو أني ضيعت ثلاث ساعات كان من الممكن أن أحقق فيها بعض الأعمال المفيدة.

وتفضلوا بقبول خالص تحياتي!.

٦- فهذا هو كل ما تلقيته من ردود أو مناقشات حول رسالتي هذه وهي ردود تجعلني أشد تمسكاً بما قد كتبت وقررت.

فأنا الآن أشد يقيناً بأن اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية. وحسب ما ورد في كتابي دليلاً يكشف عن صدق هذه الحقيقة ولست بحاجة إلى أن أزيد حرفاً عليه عدا بعض التعليقات التي اقتضاها السبب المذكور.

وأنا لا أزال أفهم رسالة الخنجدي كما يفهمها كل عربي منصف من الجنوح عن الحق البين والوقوع في أخطاء جدّ خطيرة لابدّ من التنبيه إليها والتحذير منها، وما كلفنا الله أن نشقق للجمل والنصوص الواضحة نوافذ